متاحف الآثار في سورية
متحف موقع بصرى أنموذجاً

الدكتور سعيد الحجي*

الملخص

تعدُّ سورية من أغنى دول العالم بالتراث الأثري، ونتيجة لذلك تطورت المتاحف الأثرية فيها وأخذت أنواعاً وأشكالاً مختلفة منها متحف الموقع الأثري. ومن أهم هذه المتاحف متحف موقع بصرى الذي يمتلك ميّزات مختلفة من حيث حفظ البقايا الأثرية التي ترجع إلى حضارات مختلفة ومتتالية زمنياً منذ عصر البونز وحتى نهاية العصر الإسلامي دون انقطاع للسكنى فيه. ويشكل الموقع والمتحف وحدة متكاملة يكمل بعضهما بعضاً لتحقيق زيارة ناجحة، بدأت الأعمال المتحفية والأثرية فيه منذ زمن طويل فما هي حالة هذا الموقع؟ وما الأعمال التي أنجزت والنواقص التي يحتاج إليها حتى يصبح أنموذجاً لمتاحف المواقع الأثرية في سورية؟

* قسم الآثار – كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة دمشق

المقدمة:

يعدُّ التراث الأثري في سورية من أبرز ما خلفته الحضارات القديمة على مر العصور، ويشكل رحلة متكاملة عبر تاريخ البشرية من عصور ما قبل التاريخ وحتى الوقت الحاضر دون انقطاع. هذا الغنى بالبقايا الأثرية والتاريخية يعطي سورية الأرض الحاضنة للحضارات القديمة مركزاً عالمياً ثقافياً وسياحياً، وأدى ذلك إلى زيادة أعداد البعثات الأثرية والعلمية العاملة على هذا التراث من جنسيات مختلفة. وكان تطور سورية في عصرها الحديث في شتى المجالات قد شمل أيضاً الجانب الثقافي فشهدت تطوراً في العمل الأثري والحفاظ على التراث وإنشاء المتاحف. ومن الملاحظ أن العمل الأثري والعمل المتحفي في سورية كانا دوماً عنصرين مرتبطين ببعضهما، وكان الثاني نتيجة منطقية وضرورية للأول، فالتطور في أعمال الكشف الأثري قابله تطور في المتاحف وزيادة أعدادها وأنواعها وزيادة في أعداد المواقع الأثرية المفتوحة أمام زيارة الجمهور. ومن أهم المواقع الأثرية السورية التي تحمل سمات خاصة ومميّزة تؤهله لأن يكون نموذجا لمتاحف المواقع الأثرية هو موقع بصرى الأثري الذي يعدُّ موقعاً نموذجياً لما يضم من آثار محفوظة بشكل جيد حتى الآن تعود لمختلف حضارات الإنسانية، وهذا التنوع جعل المدينة فريدة من نوعها تستقطب الباحثين والدارسين والزائرين من شتى أنحاء العالم. هذا ما دفع كثيراً من جهات حكومية خاصة إلى التركيز على إعطاء الموقع أهميته التي يستحقها، فبدأت أعمال التنقيب والكشف عن معالم المدينة الأثرية التي سرعان ما أعطت نتائجها المدهشة ودفعت المسؤولين للسعي إلى تأهيل الموقع وجعله متحفا متكاملا لما يملك من مقومات فريدة من نوعها، واستحق بجدارة أن يكون قبلة للسياحة الثقافية والدينية والترفيهية ومدرسة للفنون ومركزاً للدارسين والباحثين من شتى أنحاء العالم، ولكن الأعمال التي أنجزت ماتزال تنقصها بعض النواحي العلمية والعملية.

أولاً- تاريخ المتاحف الأثرية في سورية وتطورها:

حتى نهاية الحرب العالمية الأولى لم تمتلك سورية أي متحف على أرضها، ولكن ابتداء من هذا التاريخ أنشئ في دمشق مركز إداري ثقافي وهو ديوان المعارف في بناء تاريخي قديم يسمى المدرسة العادلية، وكان من مهامه الحفاظ على التراث الأثري patrimoine archéologique وكان يحتوي على صالة عرض للبقايا الأثرية التي بأغلبها كانت مهداة من سكان مدينة دمشق، وشكلت هذه المجموعات نواة أول متحف في سورية وهو المتحف الوطني بدمشق الذي افتتح عام 1919، وأُنشِئَ المبنى الحالي للمتحف عام 1936، وفيما بعد وسع بناؤه على عدة مراحل. وخلال مرحلة الاستعمار الفرنسي لسورية أُنشِئَ متحف السويداء عام 1925 ومتحف حلب عام 1928 [1].

بدأ تطور المتاحف السورية مع إعلان الاستقلال عام 1946 وارتفع عدد المتاحف بشكل سريع في مختلف محافظات القطر، ولكن كانت المتاحف الأثرية أكثر تطوراً من غيرها. هذه الثورة المتحفية كانت نتيجة طبيعية لزيادة البعثات الأثرية وخاصة الأوربية والزيادة الهائلة في المكتشفات الأثرية سنوياً. خلال هذه المرحلة كانت فكرة إنشاء المتاحف محصورة على هدف واحد وهو جمع التراث الأثري وحفظه. فأنشئت المتاحف في أغلب المحافظات السورية، وقد أقيمت بدايةً في المباني التاريخية القديمة bâtiments historiques لعدة أسباب أولها أن هذه المباني كانت تقع في مراكز المدن إذْ يمكن للجمهور أن يزوروها بسهولة ودون عناء، والسبب الثاني كان يتعلق بالميّزانية المحدودة في هذا المجال، وأخيراً كانت هذه المباني بحالة معمارية جيدة ينقصها بعض الترميمات والتجهيزات فقط لتصبح متاحف[2].

1- زهدي، بشير: المتاحف، ص38.

2- ALHAJI Said, Les méthodes d'expositions des collections archéologiques romaines au musée, nature et mise en scène. Etudes comparative entre les musées en France et les musées en Syrie, p.296.

ولكن مع مرور الوقت بدأت تضيق مساحات العرض في المتاحف بسبب زيادة المكتشفات الأثرية في كل سنة من جهة وزيادة أعداد الزوار من جهة أخرى. وفي الوقت نفسه أصبحت هناك متطلبات ضرورية يجب تأمينها في المتاحف كصالات الاستقبال والمخابر والورش الفنية والمكاتب الإدارية وصالات العرض المؤقت، وهذا ما تطلب زيادة في مساحة المتحف، وهو أمر مستحيل في حالة المباني التاريخية. ولهذا السبب قامت المديرية العامة للآثار والمتاحف ببناء مبانٍ حديثة لبعض المتاحف لتحل محل المباني التاريخية والقديمة كما في متاحف السويداء ودرعا ودير الزور وادلب. وتضم سورية اليوم أكثر من 50 متحفاً ذات اختصاصات مختلفة غالبيتها متاحف أثرية، ولها عدة أنواع :

- متاحف وطنية musées nationaux
- متاحف إقليمية musées régionaux
- متاحف مواقع أثرية musées des sites archéologiques
- متاحف تقاليد شعبية musées des traditions pupillaires
- متاحف متخصصة musées spécialisés

أمَّا بالنسبة للتبعية الإدارية للمتاحف السورية فأغلبها تتبع إلى وزارة الثقافة - المديرية العامة للآثار والمتاحف - دائرة المتاحف التي تضم بدورها ثلاثة أقسام رئيسة (التوثيق المتحفي، والتطوير المتحفي، والتعليم والاتصال)، ولكل متحف مدير يسمى بأمين المتحف، وفي حالة المتاحف الكبيرة كالمتحف الوطني يعين رئيس لكل قسم من أقسام للمتحف.

هناك أيضاً بعض المتاحف التي تتبع إلى الوزارات الأخرى، كالمتحف الحربي وبانوراما حرب تشرين التحريرية اللذين يتبعان إلى وزارة الدفاع، والمتحف الزراعي الذي يتبع إلى وزارة الزراعة. وتتوزع المتاحف في سورية على أراضي المحافظات

كلّها دون استثناء وسنذكر في الجدول الآتي المتاحف التي تعنى بالآثار بحسب المحافظة.

المحافظة	متاحف المواقع الأثرية	المتحف الأثري	عدد المتاحف الأثرية
الحسكة		متحف الحسكة	1
اللاذقية	متحف رأس شمرا	متحف اللاذقية	2
القنيطرة		متحف القنيطرة	1
الرقة	متحف قلعة جعبر	متحف الرقة	2
السويداء	متحف شهبا	متحف السويداء	2
درعا	متحف بصرى	متحف درعا	2
دير الزور		متحف دير الزور	1
دمشق	متحف دمشق التاريخي	المتحف الوطني متحف الخط متحف الطب والعلوم	4
ريف دمشق		متحف دير عطية	1
حلب	متحف قلعة حلب	متحف حلب الوطني	2
حماة	متحف أفاميا	متحف حماة	2
حمص	متحف تدمر	متحف حمص	2
ادلب	متحف معرة النعمان	متحف ادلب	2
طرطوس	متحف جزيرة أرواد	متحف طرطوس	2
العدد الإجمالي	**10**	**16**	**26**

شكل 1: توزع متاحف الآثار ومتاحف المواقع في سورية بحسب المحافظة

ثانياً_ متحف موقع بصرى الأثري:

تحتل المنطقة الجنوبية من سورية (حوران) أهمية خاصة من ناحية عدد المواقع الأثرية المنتشرة فيها ومن جهة أخرى الأوابد الأثرية والمكتشفات التي ما تزال في غالبيتها في حالة من الحفظ الجيد مثل بصرى، ودرعا، وشهبا، وقنوات، وتل الأشعري، ووادي الشرار. وتعدُّ منطقة حوران من أكثر الوجهات التي تستقبل زواراً من أنحاء العالم كلّه فضلاً عن إلى أنها وجهة لعلماء الآثار، وتنتشر المواقع الأثرية

على أراضيها كلّها، وفي كل مدينة أو قرية نجد تحتها بقايا أثرية لحضارات قديمة. ويمكن القول إن منطقة حوران هي موقع أثري بأبعاد ضخمة أو أنه بحر من الآثار لكثرة المواقع الأثرية التي يرجع تاريخها من عصور ما قبل التاريخ وحتى العصر الحديث، كما أنها واحدة من أكثر المناطق غنى بالآثار الكلاسيكية التي ما تزال بحالة جيدة من الحفظ من القرن الأول قبل الميلاد وحتى بداية العصر الإسلامي.

يعدُّ متحف موقع بصرى الأثري من أبرز المتاحف الأثرية في منطقة حوران، ويتميّز بأنه واحد من المواقع الأثرية القليلة في العالم الذي ما تزال الحياة مستمرة فيه دون انقطاع من عصور ما قبل التاريخ وحتى الوقت الحاضر، بحيث تتراكم وتتداخل فيه البقايا الأثرية والمعمارية للحضارات البشرية كلّها التي مرت بالمنطقة (شكل 2).

شكل 2 : منظر عام للأوابد الأثرية في موقع بصرى

يضم الموقع تراثاً أثرياً يعود إلى الحضارات كلّها التي سكنته دون انقطاع ويحتوي صروحاً أثرية مميّزة تعود للحضارات النبطية والرومانية والبيزنطية والإسلامية. أهمها المسرح الروماني الذي بني حوله قلعة تتألف من اثني عشر برجاً بنيت على عدة مراحل خلال العصر الإسلامي، وإنّ اندماج الكتلتين المعماريتين للمسرح والقلعة جعل منهما صرحاً معمارياً واحداً أكثر أهمية وجاذبية وحافظ كل منهما على الآخر[3]، ولتلك الأهمية والتميّز ولتوفر المكان بداخله اختير هذا الصرح الأثري ليكون مقراً لمتحف بصرى وأصبح جاهزاً ليستقبل اللقى الأثرية التي تكتشف خلال أعمال التنقيب الأثري في الموقع (شكل 3).

شكل 3 : منظر عام للقلعة الإسلامية والمسرح الروماني يحيط بهما الخندق[4].

3-MUKDAD Khalil, Le théâtre de Bosra (Syrie), p.24.
4- www.BosraCity.com

تضم قلعة ومسرح بصرى ثلاثة مواقع رئيسة لعرض آثار متحف بصرى المصنف كمتحف موقع musée de site archéologique يربط فيه عرض اللقى الأثرية مع الزيارة الميدانية للأوابد الأثرية في الموقع الذي أصبح متحفاً مكشوفاً في الهواء الطلق ويحقق لزواره رحلة عبر الزمن لمختلف حضارات الإنسانية. وتشمل أماكن العرض في بصرى: متحف التقاليد الشعبية، والمتحف المكشوف، ومتحف الآثار الكلاسيكية والإسلامية (شكل 4) وهذا شرحها:

شكل 4: مخطط قلعة بصرى وتوزع أماكن العرض المتحفي فيها

1- **متحف التقاليد الشعبية** :

يقع في البرج رقم 5 من القلعة، تأسس عام 1975، ويقدم هذا المتحف صورة عن حياة سكان منطقة حوران ذات الطابع الزراعي[5]. وخصص لذلك تقديم نماذج لبعض أقسام السكن المحلي القديم وما كان يحتوي من أدوات ومعدات دعمت بالصور التوضيحية التي التقطت في مدينة بصرى. أول أجزاء المسكن المحلي المعروضة هي المضافة التي يستقبل بها الضيوف ومكان للاجتماع، ثم المطبخ وما يحتوي من أدوات الطبخ وصنع الخبز، ثم غرفة الخزن التي تخزن بها الحبوب ومؤن الطعام وأدوات العمل في الحقل، ثم غرفة العروس وطقوس الزواج، وعرض أيضاً نماذج من اللباس المحلي التقليدي القديم ونماذج من الحبوب التي تزرع ونماذج محنطة لبعض الطيور والحيوانات التي تعيش في المنطقة.

2- المتحف المكشوف:

ويقع في الباحة السماوية الواقعة بين الأبراج 4 – 10- 11، يعود تأسيسه إلى تاريخ إعادة تأهيل هذه الباحة في القلعة في سبعينيات القرن الماضي حيث نقل إليها منحوتات التماثيل الحجرية كلّها من الموقع الأثري. ويحتوي المتحف على التماثيل والمنحوتات والنقوش والكتابات الحجرية التي ترجع إلى مختلف الحضارات التي سكنت مدينة بصرى. ثُبِّتَتِ التماثيل الحجرية والرخامية على قواعد بيتونية أو بعض الكتل الحجرية الأثرية بواسطة القضبان الحديدية ووزعت على أرتال ضمن الساحة، في حين وضعت المنحوتات الزخرفية والكتابية على الأرض مباشرة وبجانب الجدران المحيطة بالساحة، كما عرضت لوحة كبيرة من الفسيفساء على أحد جدران الساحة. وهناك دراسة لإعداد مشروع تأهيل البرج رقم 8 المستوى الثاني منه في القلعة من أجل عرض المنحوتات الحجرية الكتابية الإسلامية ضمنه (شكل 5).

5 - الكجك، يسرى: علم المتاحف، ص21.

شكل 5 : المتحف المكشوف في قلعة بصرى

3- متحف الآثار الكلاسيكية والإسلامية:

يقع في البرج رقم 7 من القلعة، تأسس عام 1969 ويعرض اللقى الأثرية التي ترجع إلى عصور الحضارات البرونزية والنبطية والرومانية والبيزنطية والإسلامية. صنفت المجموعات الأثرية في المتحف بحسب المادة المصنوعة منها وتجاهلت الحضارة التي تنتمي إليها، وضعت داخل خزن خشبية ذات واجهات زجاجية، تتنوع بين اللقى الفخارية والخزفية، والحلي والمجوهرات والنقود والمسكوكات والمنحوتات الرخامية والأدوات الحجرية والأدوات الزجاجية (شكل 6). مساحة المتحف نحو 150 م2 مقسمة إلى خمس صالات تتوزع حول فسحة مركزية في وسط البناء على نمط الأواوين جهزت باثنتي عشرة خزانة خشبية لعرض المجموعات الأثرية تتنوع أشكالها من جدارية وأرضية وأرضية هرمية تتوسط القاعة. ومن عيوب هذا المتحف أن

المعروضات فيه جميعها غير مشروحة ببطاقات متحفية أو بدليل متحفي، كما أنها غير مصنفة بشكل جيد والإضاءة غير كافية، وبشكل عام ينقص العرض كثير من العمل المتحفي والملاحظ أنه لم تجر أي تعديلات أو تحديثات في هذا المتحف منذ تاريخ إنشائه. وبسبب ضيق المكان وكثرة القطع الأثرية التي تكتشف وضعت المديرية العامة للآثار والمتاحف دراسة لمشروع تأهيل البرج رقم 10 في الطابق الثاني منه المطل على الساحة التي يشغلها المتحف المكشوف، وهو ما يساعد على إضافة مساحة أوسع إلى المتحف وودمجها مع المتحف المكشوف الذي سوف يشكل المدخل لهذا المتحف ويكون بمنزلة حديقته الأثرية[6].

شكل 6: متحف الآثار الكلاسيكية والإسلامية

6- ALHAJI Said, 2008, p.353.

ثالثاً- موقع بصرى الأثري:

تميّزت مدينة بصرى بموقها الإستراتيجي بالنسبة إلى منطقتها الخصبة ووقوعها على طرق التجارة الرئيسة، وورد ذكرها في مراسلات تل العمارنة في مصر عام 1350 قبل الميلاد[7]. أهمية موقع المدينة دفع الأنباط ليجعلوها عاصمة لهم، وسماها الرومان عاصمة الولاية العربية الرومانية وشكلت لهم مركزاً سياسياً وإدارياً وعسكرياً واقتصادياً[8]، ومن ثم كانت مركزاً للمجمع الكنسي في المنطقة خلال العصر البيزنطي، وأخيراً كانت مركزاً لمدينة إسلامية أخذت دورها المهم خلال العصور الإسلامية.

بدأ العمل في الموقع الأثري منذ عام 1946 وما زال مستمراً حتى الآن، وكُشِفَ عن بعض أجزاء الشوارع الرئيسة والمباني المهمة، ومازال هناك كثير من أجزاء المدينة غير مكتشف. يشرف على أعمال التنقيب الأثري في بصرى المديرية العامة للآثار والمتاحف بالتعاون مع المعهد الفرنسي لآثار الشرق الأدنى IFAPO الذي بدأ عمله فيها منذ عام 1974 ضمن إطار البعثة الفرنسية العاملة في جنوب سورية الممولة من قبل وزارة الخارجية الفرنسية[9]. عمل في بصرى عدة بعثات أجنبية أخرى مثل البعثة الايطالية، والبعثة الألمانية، والبعثة البولونية، وبعثة الجامعة الأمريكية في بيروت، وكان عدد من هذه البعثات مشتركة مع البعثة السورية.

7- SARTRE M., 1989, La Syrie à l'époque hellénistique, in Archéologie et histoire de la Syrie,p.44.

8- SARTRE M., 2002, La Syrie antique, p.55.

9- DENTZER J.-M., BLANC P.-M. et FOURNET TH., 2002, Syrie, le développement urbain de Bosra de l'époque nabatéenne à l'époque byzantine : bilan des recherches françaises 1981-2002, revue d'art oriental et d'archéologie, Tome 79, p.76.

بدأت الخطوة الأولى لاكتشاف الموقع وتأهيله وفق خطة منهجية مدروسة منذ عام 1968 مع طرح مشروع المهندس المعماري روبرت آمي من منظمة اليونسكو لإدارة الموقع[10].

يحتوي موقع بصرى الأثري على العديد من المباني الأثرية المحفوظة بشكل جيد التي تعود للحضارات النبطية والرومانية والبيزنطية والإسلامية، تتوزع حول الشوارع الرئيسة للمدينة الممتدة من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب (شكل 7). تعدُّ التنقيبات الأثرية في بصرى وخاصة في العشر سنوات الأخيرة أَبْطَأَ ما يمكن وفي بعض الصاحيان توقفت، الأمر الذي أدى إلى إعاقة كبيرة في عملية تأهيل الموقع، ومن الملاحظ أيضاً أن سياسة التنقيب المتبعة في المدينة غير منظمة في بعض الأحيان، وذلك لأسباب كثيرة أهمها قضية استملاك البيوت في المنطقة الأثرية إِذْ إن قسماً كبيراً من المدينة الأثرية مأهولة بالسكان الذي يملكون منازل فيها.

10 - بُدئَ بأعمال التنقيب بهدم المساكن الحديثة كلّها وقُسِّمَ المشروع إلى عدة مراحل: تبدأ أعمال التنقيب بكشف المحور الشرقي الغربي من باب الهوى وحتى الباب النبطي بعرض 40م، ثم تتواصل أعمال الكشف بالطريقة نفسها في الشوارع المتجهة شمال جنوب، وفي الوقت المحدد يجب أن يكون كامل الموقع مكشوفاً، وأن تنقل الأنقاض إلى المنطقة الجنوبية الغربية خارج القرية بواسطة السكة الحديدية والعربات، وأعطيت الأفضلية لكشف الشوارع المحورية للمدينة الرومانية القديمة. وقد شدد آمي على ضرورة إنجاز دراسة مفصلة للسكن أيضاً بحيث تجرى لكل بناء دراسة دقيقة مرفقة بالمخططات والصور الفوتوغرافية. وبعد الكشف يُرَتَّبُ محيط الأبنية الأثرية التي تقرر الحفاظ عليها. كما نص المشروع على تحديد منطقة حماية خالية من البناء تحيط بالموقع يبلغ عرضها 200م فضلاً عن إنشاء مدينة جديدة تقع إلى الجنوب الشرقي من القديمة ومنظمة بحسب مخطط هندسي ليصار إلى ترحيل السكان من المدينة الأثرية إلى هذا الموقع الجديد.

Amy R., Mise en valeur de Bosra – Cham, October 1968, rapport n°1228/BMS, RD/CLT, Paris (UNESCO), 1969, P.23-28.

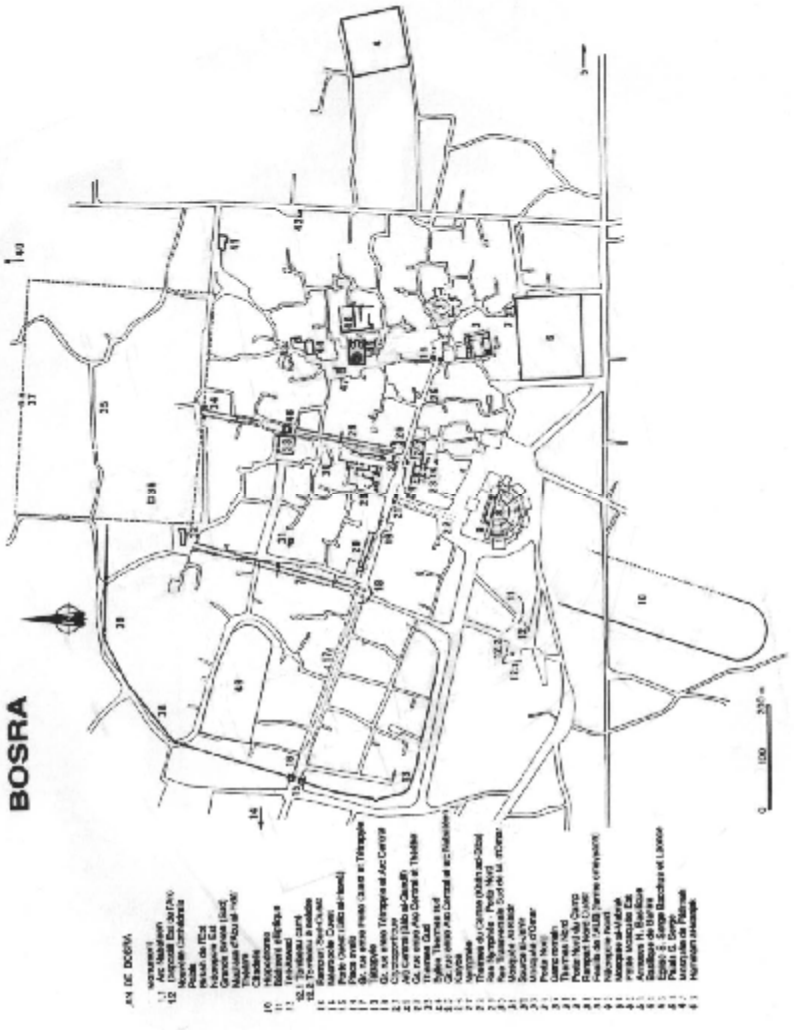

شكل 7 : مخطط موقع بصرى الأثري الذي يُظهر أهم المباني الأثرية[11]

11- سليمان مقداد، بصرى، ص53.

بدأت أعمال الترميم وإعادة البناء في موقع بصرى مع بداية التنقيب فيه وما زالت مستمرة حتى الآن، ولكن ليس بالشكل الكافي فضلاً عن أنها لم تأخذ في الحسبان مطلب تأهيل الموقع وإعداده بالشكل المناسب لاستقبال الزائرين بمختلف شرائحهم ومن شتى أنحاء العالم.

ويتميّز موقع بصرى الأثري بأنه ما زال مأهولاً بالسكان الذين قاموا بتعديل بعض المباني الأثرية التي سكنوها والمبنية من البازلت فضلاً عن أنهم أعادوا استخدام الحجارة من المباني الأثرية الأخرى لبناء مساكن أحدث لهم. لذلك قامت الجهات المختصة بوضع قانون يحظر البناء أو الترميم للمباني الحديثة أو القديمة داخل الموقع الأثري إلا بعد أخذ الموافقة وبإشراف دائرة آثار بصرى. كما وضع برنامج حكومي لاستملاك المباني داخل الموقع الأثري وترحيل السكان إلى خارج سور المدينة القديمة.

وضمن العمل على كشف الموقع وتأهيله[12] جرت عدة عمليات للحفظ والترميم كإعادة تركيب بعض الأعمدة الحجرية على طرفي الشوارع الرئيسة وترميم بعض أجزاء من مبانٍ مهمة في المدينة، ولكنها تعدُّ محدودة بالنظر إلى المباني الأثرية الكثيرة في المدينة. ووضِعَتْ لوحات الشرح المعدنية باللغتين العربية والانكليزية أمام بعض أهم المباني الأثرية في المدينة التي لم تصمد طويلاً أمام العوامل الجوية فشوهت بسرعة. يوجد أيضاً عدد من الكتب السياحية التي تتكلم عن المدينة وآثارها ولكنها غير مرتبطة بأي رموز أو إشارات على أرض الواقع تسهل الزيارة للموقع

12 - يتضمن إدارة الموقع الأثري وتأهيله بحسب اليونسكو عدة جوانب من أهمها: إدارة أعمال الحفاظ والحماية والترميم، إدارة الأبحاث والدراسات حول الموقع، والإدارة القانونية، والتنظيم الإداري، والإدارة المالية، وإدارة الزوار وتأهيل الموقع سياحياً، إدارة العاملين والتأهيل، الإدارة التقنية (الأشغال والأمن والصيانة والاستقبال)، إدارة مشاريع الإحياء والتجديد الحضري.
مهند المحاميد، إدارة المواقع الأثرية وإعادة التوطين في المدينة القديمة "مثال مدينة بصرى"، ص16.

مما يؤدي إلى تيهان الزائرين الذين ليس لديهم دليل سياحي يرشدهم في المدينة الأثرية.

كما أُنشِئَ مركز سياحي في المدينة بالقرب من القلعة ولكنه لم يؤدِ الهدف من إنشائه فهو يقدم بعض الخدمات للزوار الذين لا يعرفون بوجوده إلا مصادفة غالباً. وتقوم وزارة الثقافة السورية بتنظيم مهرجان كل سنتين للفنون الشعبية في مسرح بصرى الذي يتسع لنحو 30000 متفرج[13]، كما يضم فعاليات عديدة مرافقة له كسوق المهن اليدوية.

رابعاً - قواعد أساسية لتطوير متحف موقع بصرى الأثري:

1. تأهيل وإدارة الموقع الأثري والمتحف كوحدة متكاملة يكمل بعضهما بعضاً:

- إن عملية تأهيل الموقع الأثري وإدارته يجب أن تقوم على ربط كل من الموقع الأثري والمتحف والمناظر الطبيعية في الموقع مع بعضهما بعضاً[14].
- السعي لإنشاء متحف حديث في مدينة بصرى ولو على المدى الطويل ليضم الآثار المكتشفة جميعها التي ستكتشف في الموقع ويضم أماكن مخصصة للفعاليات الثقافية المرافقة له من ندوات ومحاضرات ومكتبة متخصصة ومخبر. وليحقق بناؤه الشروط الحديثة للمتاحف المعاصرة في أماكن العرض الدائم والمؤقت، وأماكن تخزين مناسبة للقطع جميعها، ووسائل الحفظ ضمن الصالات وفي أماكن التخزين، ووسائل الأمن والسلامة ضد السرقة والأخطار الأخرى، وأماكن استقبال الجمهور والخدمات الأخرى.

13- Archéologie et histoire de la Syrie II, La Syrie de l'époque schéménide à l'avènement de l'Islam, édité par Jean-Marie Dentzer et Winfried Orthmann en coopération avec la Direction Générale des Antiquités-Damas, p.398.

14- عليان، جمال: الحفاظ على التراث الثقافي، نحو مدرسة عربية للحفاظ على التراث الثقافي وإدارته، سلسلة عالم المعرفة، العدد322، ديسمبر 2005، ص36.

- العمل على استرجاع بعض الآثار التي اكتشفت في بصرى ونُقِلَتْ إلى المتحف الوطني في دمشق، وخاصة تلك التي لها دلالات مهمة لتأسيس المدينة ومراحل تطورها لأن عرضها في الموقع يعطيها أهمية رمزية ويساعد على بناء عروض متحفية أكثر واقعية لزوار المدينة، ومثال ذلك مجموعة النقود التي تدل على تأسيس بصرى ومراحل توسعها والألقاب التي حملتها والملوك والقادة الذين حكموها.
- خط الزيارة أو مسار الزيارة Parcour de la visite في بصرى غير محدد المعالم، وفي أغلب الأحيان يقتصر على زيارة المسرح والقلعة فقط، وذلك بسبب ضعف عمل المركز السياحي وعدم وضع خط زيارة واضح. من أجل ذلك يجب تطوير العمل السياحي ووضع عدة نقاط للمعلومات السياحية على مداخل المدينة الأثرية بسبب مساحتها الكبيرة وتداخل الأبنية الحديثة والقديمة وتأهيل أطر من المرشدين السياحيين القادرين على التعامل مع مجموعات السياح العرب والأجانب والمجموعات المدرسية، ووضع عدة خيارات من المسارات في المدينة الأثرية بحيث يترك للزائر حرية الاختيار بحسب وقته وجهده، وغالباً ما يوضَعُ مساران للزيارة:

1) المسار الأول قصير ومختصر للزائرين الذين لا يملكون الوقت الكافي لزيارة الموقع كاملاً.
2) المسار الثاني طويل ومفصل للهواة والمجموعات المدرسية والزائرين الذين يملكون الوقت الكافي لإنجاز زيارة كاملة للموقع[15].

- إن بناء مسارات للزيارة في المدينة الأثرية يجب أن تكون مصمّمة ضمن فكرة محددة يراد إيصالها إلى الزائر، وعلى نموذج ربط أرض الواقع بكتيبات الدليل السياحي الذي يجب توفيره في نقاط الاستعلام السياحي عند مداخل المدينة. كوضع

15- ALHAJI Said, 2008, p.50.

إشارة أو رمز معين يفضل أن يكون من الرموز التي تدل على خصوصية المدينة الأثرية ووضعه على الطرق التي يجب أن يسلكها الزائر في المدينة بحسب المسار المحدد ووضع إشارات فارقة عند كل صرح أو معلم أثري يمكن أن يحصل على معلومات عنه من كتاب الدليل السياحي أو من لوحة معلومات موضوعة في المكان، يستمر هذا الترتيب بالأرقام التي تحملها الإشارات والكتاب السياحي ولوحات المعلومات مرتبطة ببعضها بحيث يسهل إكمال مسار الزيارة حتى النهاية من دون أي مشكلات أو مضايقات لجمهور الزائرين. ويمكن أيضاً استخدام تقنية الأجهزة السمعية التي يمكن توفيرها للزائرين في نقاط الاستعلام السياحي بحيث يحصل الزائر على سماعة للأذنين مع جهاز يشغله ويوقفه بحسب أرقام الصروح الأثرية الموضوعة ضمن مسار الزيارة، وهذا ما يسهل على الزائر معاناة القراءة خلال تنقله في المدينة الأثرية. وفي نهاية مسار الزيارة يُعاد إلى النقاط السياحية. وفي حالة موقع بصرى وأهميته الدينية الإسلامية يمكن وضع مسار خاص للسياحة الدينية في المدينة تشمل أهم المعالم الدينية الإسلامية والمباني التي تحمل رمزية دينية كدير الراهب بحيرا.

- يجب توفير الإضاءة اللازمة في الموقع سواء للإضاءة ليلاً أو نهاراً داخل المناطق والمباني الأثرية المعتمة، لما له دور مهم في إنجاح الزيارة من جهة وإعطاء قيمة جمالية للآثار المضاءة.
- وضع مخطط يربط موقع بصرى بالمواقع الأثرية المجاورة له في المنطقة نفسها Réseau des sites التي يمكن زيارتها بالتتابع، وهو ما يسهم في زيادة أيام الزيارة من قبل السائحين، ويؤدي بدوره إلى تطوير السياحة الثقافية المستديمة Développement de tourisme culturel durable[16].

16- APPEAR, Mise en valeur des sites archéologiques en milieu urbain, Guide pratique, Rapport de recherche n° 30/3, Commission Européenne : Direction Générale de la Recherche, Belgique, 2005, p.45

- حماية المواقع والمباني الأثرية في مدينة بصرى ومحيطها غير المسجلة نظراً إلى كثرتها والتي تستغرق عملية مسحها ومن ثم تسجيلها وقتا طويلاً. وأمثل الطرق للحفاظ على الموقع الأثري هي من خلال إيجاد إدارة للموقع تعتمد في سياستها على منهجية وإستراتيجية تخطيطية وتستند إلى المواثيق والتوصيات الدولية والفهم الصحيح لمفاهيمها والتطبيق السليم لها[17].

2- متحف الموقع والبحث الأثري:

- إنشاء مركز للبحث الأثري في الموقع بإشراف المديرية العامة للآثار والمتاحف وبالتعاون مع البعثات والمؤسسات والجهات العلمية التي تعمل في مجال المتاحف والمواقع الأثرية. لأن نجاح المشروع العلمي والثقافي يكمن في الإدارة الملائمة بين المتحف والموقع الأثري بين فريق التنقيب والفريق المشرف على الحفظ في كل من المتحف والموقع، وإقامة رابط قوي مع الباحثين المتخصصين الذين سيأتون بأفضل الدراسات لتطوير الموقع والمتحف وتأهيلهما معاً[18].
- السماح للطلاب والباحثين بدخول مستودعات المتاحف ومستودعات الآثار الأخرى لإجراء الدراسات والبحوث. وتشجيع مشاركة طلاب الآثار والتاريخ والفنون بشكل خاص للعمل في موقع بصرى.
- وضع إستراتيجية لزيادة أعمال تطوير العروض المتحفية وتحديثها في الموقع الأثري بالتعاون مع الهيئات العلمية محلياً وعالمياً. وتطوير التعاون مع المتاحف العربية والأجنبية والإفادة من تجاربها وخبراتها في العمل المتحفي، ووضع خطة

17- مهند المحاميد، 2009، ص157

18 - MOREL-DELEDALLE Myriame, 2003, Musées de sites et de reconstitutions, in Vestiges archéologiques en milieu extrême, Institut National du Patrimoine, p.213.

لتبادل الطلاب والخبرات بشكل دائم بين مؤسسات هذه الدول وتشجيع العمل المشترك كإنجاز عروض متحفية مشتركة أو تشكيل بعثات مشتركة للعمل الأثري.

3- متحف الموقع وتقنيات ووسائل الإعلام والاتصال الحديثة:

- التوسع في استخدام وسائل الميديا والتقنيات الحديثة للاتصال والمعلومات في صالات العرض المتحفي وفي الموقع الأثري. حيث تخدم التقنيات والتكنولوجيا الحديثة وسائل الشرح والإيضاح والتوجيه المتحفي كإدراج المجلة الضوئية الموضوعة على مدخل المتحف أو في صالة الاستقبال، وتقدم معلومات عن النشاطات والفعاليات ونتائج البحوث الأثرية وإدراج أجهزة الكمبيوتر في صالات العرض أو إقامة صالة خاصة لها تسمى Salle de multimedia فضلاً عن الشاشات المسطحة الكبيرة والشاشات الصغيرة التي تقدم الصور والفيديو إلى الجمهور، وبإمكان الزائر في بعض الأحيان اختيار المادة التي يرغب في رؤيتها عن طريق وضع أزرار الموضوعات أو شاشات اللمس ضمن خط زيارة المتحف. هذه الوسائل الإعلامية جميعها تساعد على سهولة وصول جمهور الزائرين إلى المعلومات المتعلقة بالمجموعات الأثرية المعروضة في المتاحف أو في الموقع الأثري وترضي الرغبات لدى الجمهور الذي يختار نمط المعلومات ومستواها التي يرغب بها والتي تناسبه.
- العمل على بناء قاعدة بيانات الكترونية Base des données على أجهزة الحواسيب بنقل المعلومات المتعلقة بالتوثيق إلى القطع الأثرية المعروضة في المتاحف أو المخزنة في المستودعات والآثار غير المنقولة من مبانٍ وعمائر في الموقع الأثري وربطها بمعلومات تفصيلية عنها ونتائج البحوث التي تناولتها، ووضع هذه البيانات جميعها على موقع خاص للمدينة الأثرية وللمتحف على شبكة الإنترنت والسعي لإمكانية ربطها بالمواقع والمتاحف السورية الأخرى على الشبكة. وهذا ما يساعد

أيضاً على تقديم عـــروض افتراضـــية exposition virtuelle باســـتخدام تقنيـــات الحاسوب وإعادة البناء reconstitution للقطع والمباني والموقع الأثري بناءً علـــى البحوث والدراسات الأثرية. ويسمح بالقيام برحلات عبر الماضي داخل منـــاطق ومباني المدينة الأثرية انطلاقاً من الواقع الافتراضي على أجهـــزة الحاســـوب أو شاشات العرض الكبيرة، إذْ يُمكن هذا من إعادة استكشاف الماضي من خلال الواقع الافتراضي الذي جرت محاكاته حاسوبياً مع عدم الخروج من دائرة الحاضر.

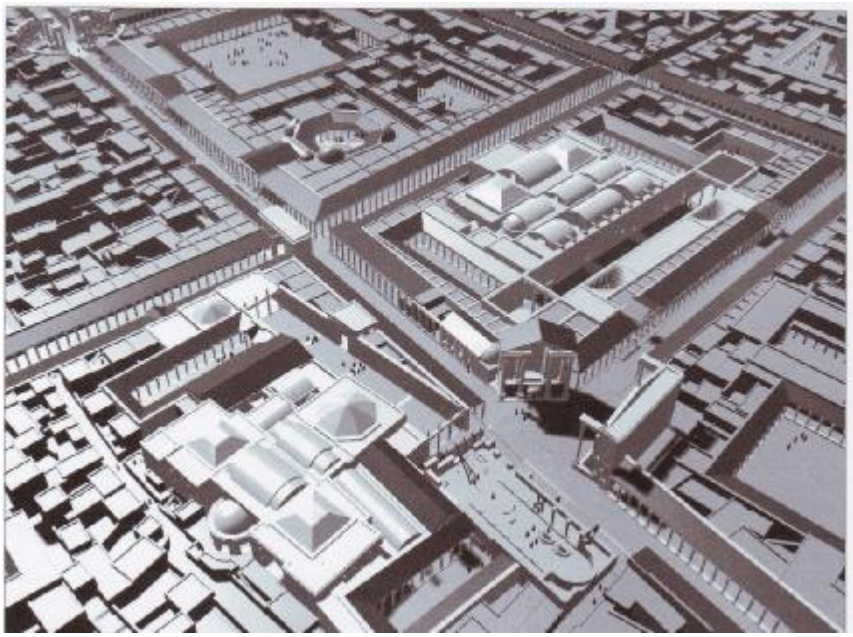

الشكل 8: صورة افتراضية لإعادة بناء مركز المدينة الأثرية في بصرى توضح السوق والحمامات المركزية وخان الدبس وتقاطع الشوارع المحورية[19].

19-DENTZER-FEYDY Jacqueline, VALLERIN Michèle, FOURNET Thibaud et MUKDAD Ryad, Bosra aux portes de l'Arabie, Institut Français du Proche-Orient (Ministère des Affaires Etrangères et CNRS), Damas, 2007.

4- متحف الموقع والجمهور :

- تشجيع تشكيل جمعية أصدقاء متحف وموقع بصرى الأثري بمشاركة سكان المدينة وبالتعاون مع دائرة الآثار ومجلس بلدية بصرى والمركز السياحي. إذْ نص ميثاق ICOMOS على أن مشاركة السكان وإشراكهم أمر مهم في إنجاح برنامج الحفاظ على المواقع، ويجب أن يكونوا حاضرين في المراحل كلّها ومن شتى الأعمار[20]، وعليهم أن يمارسوا دوراً مهماً في الترويج لمتحف الموقع وجذب الجمهور لزيارته من خلال ما يقومون به من نشاطات مختلفة.
- تخصيص مكتب متخصص بدراسة جمهور الزوار عن طريق الاستبيانات وإجراء تقييمات دورية وإحصاءات تساعد على تطوير العمل من خلال تجنب السلبيات وإيجاد حلول للمشكلات وتحسين الإيجابيات بالنسبة إلى الزائرين[21]، وتحليل نتائج دراسة الجمهور يؤدي إلى تقويم العمل في الموقع والبحث عن فعاليات ترضي الجمهور وما يتطلع من زيارته للموقع من عروض متحفية وفعاليات ثقافية وترفيهية وخدمات[22].
- لا بد للقائمين على الموقع والمتحف من الأخذ بالحسبان أهمية المجموعات المدرسية والشباب الذي يزور المتحف إذْ تشكل نسبتهم أكثر من 50 % من جمهور المتاحف، هذه النسبة المرتفعة لمجموعات الأطفال والشباب يجب أن توضع في أولويات سياسة متحف الموقع والبرامج المقدمة وأوقات الدوام وأسعار

20- ICOMOS, Charte internationale pour la gestion du patrimoine archéologique, Préparée par le Comité International pour la Gestion du Patrimoine Archéologique (ICAHM) et adoptée par la 9ème Assemblée Générale de l'ICOMOS à Lausanne en 1990.

21- SHETTET Harris H. et BITGOOD Stephen, Les pratiques de l'évaluation des expositions : quelques études de cas, in publics et musées، n° 4, 1994, p.19.

22- GOB André et DROUGUET Noémie, La muséologie : Histoire, développements, enjeux actuels, p.92.

التذاكر وغيرها. ونتيجة لهذا التطور في مجال المتحف والتعليم أُنشِئَ مشروع تعليم الشباب والمتحفProjet Education des Adultes et Musées (EAM) الممول من قبل الاتحاد الأوروبي ويقوم بتنظيم التعاون وتبادل الخبرات والمعلومات على المستوى العالمي عن دور المتاحف في تعليم الشباب.

- وضع عدة برامج مناسبة للشباب من قبل إدارة متحف الموقع، كإدراج مسار خاص بالأطفال مع نشر مجلات تعليمية وترفيهية تتناسب والمعروضات الأثرية، وتنظيم نشاطات احتفالية وترفيهية، وتنظيم ورشة تنقيب تدريبية للأطفال تستمر عدة أيام ليعيشوا تجربة الآثاريين والعمل الأثري، وإنشاء عدة ورش للأطفال مدة ساعة أو أكثر كورش التصنيع والترميم والرسم للقطع الأثرية ضمن صالة خاصة بهذا الغرض، فضلاً عن السماح لهم في بعض الأوقات بزيارة أماكن التنقيب أو الترميم في مواسم العمل السنوية. هذه النشاطات التربوية والتعليمية والترفيهية جميعها في الوقت نفسه هي من أولى أساسيات إنشاء المتاحف وهدف من أهدافة، تسهم في بناء جيل من الشباب الواعي والمثقف والمهتم بالتراث الأثري والحضاري في بلده وسيسعى إلى الحفاظ عليه لأنه سيشكل لهم هويتهم الوطنية.

الخاتمة:

إن متحف موقع بصرى أظهر أهميته وتميّزه الفريد بما يحتوي من تراث أثري بحالة جيدة من الحفظ وتمازج الحضارات والديانات واستمرارية السكنى فيه حتى الوقت الحاضر، ولا يزال يخفي كثيراً من الكنوز الأثرية والاكتشافات التي ستعطيه أهمية أكبر وازدهاراً في مجال السياحة الثقافية. وإن أي مشروع يقوم في الموقع سوف يعطي نتائجه الباهرة واستمرارية العمل فيه ضرورة ملحة حتى تحقيق النتائج واستكمال أعمال التنقيب والكشف عن معالم المدينة الأثرية وإجراء أعمال الصيانة والترميم والحفظ من جهة وتأهيل الموقع وإدارته من جهة أخرى. هذه الأعمال الأثرية

والمتحفية بدأت منذ خمسينيات القرن الماضي ومازالت مستمرة حتى الآن مروراً بمراحل توقف ولكن العمل في المدينة مايزال ينقصه الكثير من الأعمال والدراسات الضرورية من أجل النهوض بالمدينة الأثرية. هذه الميّزات والأهمية التي تتمتع بها مدينة بصرى الأثرية جعل منه نموذجاً لمتاحف المواقع الأثرية التي يمكن تطبيق عدة مشاريع ذات نوعية عالية أثرياً وعلمياً وسياحياً وثقافياً وترفيهياً.

تعدُّ الدراسات الأثرية والمتحفية الأساس في انطلاق أي مشروع لتأهيل المتحف والموقع الأثري بالتعاون مع الباحثين من شتى الاختصاصات ذات العلاقة مع هذا المشروع. كذلك لابد من الإطلاع على التجارب العالمية في هذا المجال والاتصال مع المنظمات والمؤسسات العالمية المختصة في ذلك وتلك التي تتبع لمنظمة اليونسكو العالمية. انطلاق أي مشروع لتأهيل المتاحف والمواقع الأثرية وحفظها وتطويرها بناءً على التجارب والخبرات العالمية تساعد على إنجاح المشروع وتحقيق الأهداف المرجوة منه. وبعد إنجاز أي عمل من هذا النوع يجب أن يخضع للتقييم فإما أن يلاقي النجاح وإمَّا أن يلاقي الإخفاق فيسار إلى تلافي الأخطاء وتصحيح السلبيات والنواقص التي تشوبه. واقتران التطوير في مجال عرض التراث الأثري وحفظه في العصر الحالي لابدَّ أن يقترن مع التقنيات والتكنولوجيا الحديثة التي ترافق المجتمع المعاصر في حياته اليومية وبالأشكال كلّها حتى أنه لم يستغنِ عن هذه التكنولوجيا، فالمتحف المعاصر لابدَّ أن يراعي طبيعة المجتمع الحالي ويواكب احتياجاته ومتطلباته حتى يلاقي النجاح. وهو ما يحتاج إليه متحف موقع بصرى حتى يستكمل الأعمال الناقصة في سبيل جعله مثالاً يحتذى به وقبلة للباحثين والدارسين ووجهة سياحية عالمية في آنٍ واحد.

المصادر والمراجع

(1) زهدي، بشير: المتاحف، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1988.

(2) سليمان مقداد، بصرى، وزارة الثقافة، دمشق، 1978.

(3) عليان، جمال: الحفاظ على التراث الثقافي، نحو مدرسة عربية للحفاظ على التراث الثقافي وإدارته، سلسلة عالم المعرفة، العدد322، الكويت، ديسمبر 2005.

(4) الكجك، يسرى: علم المتاحف، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، وزارة الثقافة، دمشق، 2008.

(5) المحاميد، مهند: إدارة المواقع الأثرية وإعادة التوطين في المدينة القديمة، مثال مدينة بصرى، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 2009.

(6) ALHAJI Said, *les méthodes d'expositions des collections archéologiques romaines au musée, nature et mise en scène*. Etudes comparative entre les musées en France et les musées en Syrie. Thèse de doctorat en muséologie, université de Bourgogne, France, 2008.

(7) APPEAR, *Mise en valeur des sites archéologiques en milieu urbain, Guide pratique*, Rapport de recherche n° 30/3, Commission Européenne: Direction Générale de la Recherche, Belgique, 2005.

(8) *Archéologie et histoire de la Syrie II*, La Syrie de l'époque schéménide à l'avènement de l'Islam, édité par Jean-Marie Dentzer et Winfried Orthmann en coopération avec la Direction Générale des Antiquités-Damas, Saarbrücker Druckerei und Verlag, Allemagne, 1989.

(9) DENTZER J.-M., BLANC P.-M. et FOURNET TH., *Syrie, le développement urbain de Bosra de l'époque nabatéenne à l'époque byzantine* : bilan des recherches françaises 1981-2002, revue d'art oriental et d'archéologie, publiée par l'Institue français du Proche-Orient, Tome 79, Beyrouth, 2002.

(10) DENTZER-FEYDY Jacqueline, VALLERIN Michèle, FOURNET Thibaud et MUKDAD Ryad, *Bosra aux portes de l'Arabie*, Institut Français du

Proche-Orient (Ministère des Affaires Etrangères et CNRS) Beyrouth, Damas, Amman, 2007.

(11) GOB A. et DROUGUET N., *La muséologie : Histoire, développements, enjeux actuels*, 2e édition، Armand Colin, Paris, 2006.

(12) ICOM, 1978, *Musées de sites archéologiques*, Rapport préparé par Conseil International des Musées, UNESCO, Paris.

(13) ICOMOS, *Charte internationale pour la gestion du patrimoine archéologique*, Préparée par le Comité International pour la Gestion du Patrimoine Archéologique (ICAHM) et adoptée par la 9ème Assemblée Générale de l'ICOMOS à Lausanne en 1990.

(14) MOREL-DELEDALLE Myriame, Musées de sites et de reconstitutions, in *Vestiges archéologiques en milieu extrême*, Institut National du Patrimoine, Edition du patrimoine, Paris, 2003.

(15) MOREL-DELEDALLE Myriame, Musée de site et de reconstitution archéologique, in *Cahiers d'étude*, n° 9, ICOM/ICMAH, Paris، 2001.

(16) MUKDAD Khalil, *Le théâtre de Bosra (Syrie)*, thèse de doctorat Paris IV, Paris, 2000.

(17) SARTRE Maurice, *La Syrie à l'époque hellénistique*, in Archéologie et histoire de la Syrie, Allemagne, 1989.

(18) SARTRE Maurice, *La Syrie antique*, Gallimard, France.

(19) SHETTET Harris et BITGOOD Stephen, 1994, Les pratiques de l'évaluation des expositions : quelques études de cas, in *publics et musées*, n° 4, PUL, Lyon, 2002.

(20) AMY R., *Mise en valeur de Bosra – Cham*, October 1968, rapport n° 1228/BMS, RD/CLT, UNESCO, Paris, 1969.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2012/10/10